وسنته وجاهد عدوّه وأظهر بها دينه الى أن توفاه الله عز وجل. وأنها العرصة التي اختارها الله سبحانه لنبيه ولأول المسلمين وأفضلهم عصابة . وأن فرائض الله سبحانه أول ما أقيمت فى تلك العرصة . وأنها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم *

كتاب آداب تلاوة القرآن

قد امتن الله على عباده بنبيه المرسل . وكتابه المنزل . الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حتى اتسع على أهل الافتكار . طريق الاعتبار . بما فيه من القصص والأخبار . واتضح به سلوك المنهج القويم . والصراط المستقيم . بما فصل فيه من الأحكام . وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور . وبه النجاة من الغرور . وفيه شفاء لما فى الصدور . من تمسك به فقد هُدِى . ومن عمل به فقد فاز قال تعالى (إنا نحنُ نزّلنا الذكرَ وإنا له لحافِظونَ) ومن أسباب حفظه فى القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه . والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة . وذلك مالا بد من بيانه وتفصيله *

﴿ فضل القرآن وأهله وذم المقصرين فى تلاوته ﴾

قال صلى الله عليه وسلم (مَن قرأ القرآنَ ثمّ رأى أنّ أحداً أُوتِيَ أفضلَ ممّا أُوتِيَ فقدِ استصغرَ ما عظّمهُ اللهُ تعالى) وقال صلى الله عليه

وسلم (أفضلُ عبادةِ أمتي تلاوةُ القرآنِ) وقال صلى الله عليه وسلم (خيرُكم من تعلمَ القرآنَ وعلّمَهُ) وقال ابن مسعود : إذا أردتم العلم فانثروا القرآن فان فيه علم الأوّلين والآخرين . وقال عمرو بن العاص : من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوّة بين جنبيه إلا أنه لايوحى اليه *

وقد جاء في ذم تلاوة الغافلين قوله صلى الله عليه وسلم (ما آمنَ بالقرآنِ مَنِ استحلَّ محارمَهُ) وقوله صلى الله عليه وسلم (إقرأ القرآنَ مانهاك فإنْ لم ينهاكَ فلستَ تقرؤُهُ) وقال أنس (رُبَّ تالٍ للقرآنِ والقرآنُ يلعنُهُ) وقال ابن مسعود : أنزل القرآن ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان أحدهم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته مايسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به) وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول (ألا لعنة الله على الظالمين) وهو ظالم نفسه (ألا لعنة الله على الكاذبين) وهو منهم *

﴿ ظاهر آداب التلاوة ﴾

(الأدب الأوّل في حال القارئ) وهو أن يكون على الوضوء واقفا على هيئة الأدب والسكون إما قائما وإما جالسا مستقبل القبلة مطرقا رأسه غير متربع ولا متكئ ولا جالسا على هيئة التكبر . فان قرأ على غير وضوء أو كان مضطجعاً في الفراش فله أيضاً فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى (الذينَ يذكرُونَ اللهَ قِياماً وقُعوداً وعلى جُنوبِهِمْ ويتفكّرُونَ في خَلقِ السَّمواتِ والأرضِ) فأثنى على الكل ولكن قدّم القيام في الذكر

ثم القعود ثم الذكر مضطجعا *

(الثانى فى مقدار القراءة) وللقرّاء عادات مختلفة فى الاستكثار والاختصار والمأثور عن عثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبى بن كعب رضى الله عنهم انهم كانوا يختمون القرآن فى كل جمعة يقسمونه سبعة أحزاب *

(الثالث الترتيلُ) هو المستحب فى هيئة القرآن لأنا سنبين أن المقصود من القراءة التفكر . والترتيل معين عليه ولذلك نعتت أم سلمة رضى الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هى تنعت قراءته مفسرة حرفا حرفا . قال ابن عباس رضى الله عنهما لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحبّ الىّ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة . وجلىّ أن الترتيل والتؤدة أقرب الى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً فى القلب من الهذرمة والاستعجال *

(الرابع البكاء) وهو مستحب مع القراءة ومنشؤه الحزن وذلك أن يتأمل مافيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره فى أوامره وزواجره فيحزن لامحالة ويبكى *

(الخامس) أن يراعى حق الآيات فاذا مرّ بآية سجدة سجد وكذلك اذا سمع من غيره سجدة سجد اذا سجد التالى . ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة . وقد قيل فى كلها إنه يكبّر رافعا يديه لتحريمه ثم يكبر للهوى للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم *

(السادس) أن يقول فى مبتدأ قراءته أعوذ بالله السميع العليم من

الشيطان الرجيم . وفى أثناء القراءة إذا مرّ بآية تسبيح سبّح وكبر . واذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر . وان مرّ بمرجوّ سأل أو بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه *

(السابع) الاسرار بالقراءة أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك على نفسه . فان لم يخف ولم يكن فى الجهر ما يشوش على مصل فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر . ولأنه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه إلى الفكر فيه . ولأنه يطرد النوم فى رفع الصوت ويزيد فى نشاطه للقراءة ويقلل من كسله . فمتى حضره شئ من هذه النيات فالجهر أفضل *

(الثامن) تحسين القراءة وترتيبها من غير تمطيط مفرط يغيّر النظم . فذلك سنة . وفى الحديث (زَيِّنوا القرآنَ بِأصواتِكُمْ) وفى آخر (ليس منّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقرآنِ) فقيل أراد به الاستغناء وقيل أراد به الترنم وترديد الألحان به وهو أقرب عند أهل اللغة . واستمع صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبي موسى فقال (لَقد أُوتىَ هذا من مزامير آلِ داودَ) ويروى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن *

﴿ أعمال الباطن فى التلاوة — وهى سبعة ﴾

(الأوّل) فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه فى إيصال كلامه الى أفهام خلقه *

(الثانى) التعظيم للمتكلم فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغى أن

يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم أن مايقرؤه ليس من كلام البشر . ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله . فاذا حضر بباله العرش والكرسي والسموات والارض وما بينهما من الجنّ والانس والدواب والاشجار وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد . وأن الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته . وبين نقمته وسطوته . ان أنعم ففضله . وان عاقب فبعدله . فبالتفكر في أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام *

(الثالث) حضور القلب وترك حديث النفس والتجرد له عند قراءته وصرف الهم اليه عن غيره . كان بعض السلف إذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية . وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فان المعظم للكلام الذي يتلوه ويستبشر به ويستأنس لا يغفل عنه . وفي القرآن ما يستأنس به القلب ان كان التالي أهلا له فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره *

(الرابع) التدبر وهو وراء حضور القلب فانه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره . والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سنّ فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن قال عليّ رضي الله عنه لاخير في عبادة لافقه فيها ولا في قراءة لاتدبر فيها واذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد فليردد إلا أن يكون خلف امام . وروى أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قام ليلة بآية يرددها *

(الخامس) التفهم وهو أن يستوضح عن كل آية مايليق بها إذ القرآن

يشتمل على ذكر صفات الله عزّ وجل وذكر أفعاله . وذكر أحوال الأنبياء وأحوال المكذبين لهم وانهم كيف أهلكوا . وذكر أوامره ونواهيه . وذكر الجنة والنار . أما صفات الله عزّ وجل فكقوله (ليسَ كمثلهِ شيءٌ وهوَ السَّميعُ البَصيرُ) وكقوله تعالى (المَلِكُ القدُّوسُ السَّلامُ المؤمنُ المُهيمنُ العزيزُ الجبَّارُ المتكبّرُ) فليتأمل معانى هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها . وأما أفعاله تعالى فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها فليفهم التالى منها صفات الله عزّ وجل وجلاله إذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته . فينبغى أن يشهد فى الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه فى كل شئ . ولهذا ينبغى إذا قرأ التالى قوله عزّ وجل (أفرَأيتمْ مَا تَحرثُونَ . أفرَأيتمْ ما تُمنونَ . أفرأيتمُ الماءَ الّذى تَشربونَ . أفرأيتم النَّارَ الّتى تُورُون) فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمنىّ بل يتأمل فى المنىّ وهو نطفة متشابهة الأجزاء ثم ينظر فى كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم الى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها . ثم الى ماظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى (أوَلَمْ يَرَ الانسانُ أنّا خَلقناهُ مِنْ نُطفَةٍ فإذا هوَ خَصيمٌ مُبينٌ) فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها الى أعجب العجائب وهو الصنعة التى منها صدرت هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر الى الصنعة

ويرى الصانع . وأما أحوال الانبياء عليهم السلام فاذا سمع منها أنهم كذّبوا وضربوا وقتل بعضهم ثم سمع نصرتهم فى آخر الأمر فهم قدرة الله عزّ وجل وارادته لنصرة الحق . وأما أحوال المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار فى نفسه *

(السادس) التخلى عن موانع الفهم فان أكثر الناس منعوا عن فهم القرآن لأسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن . ومن حجب الفهم أن يكون الهم منصرفا إلى تحقيق الحروف باخراجها عن مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معانى كلام الله عزّ وجل . فلا يزال يحملهم على ترديد الحروف يخيل اليهم أنه لم يخرج من مخرجه . فهذا يكون تأمله مقصوراً على مخارج الحروف فأنّى تنكشف له المعانى . وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعاً لمثل هذا التلبيس *

(السابع التخصيص) وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب فى القرآن فان سمع أمراً أو نهياً قدّر أنه المنهىّ والمأمور وان سمع وعداً أو وعيداً فكذلك وان سمع قصص الاولين والانبياء وعلم أن السمر غير مقصود . وانما المقصود أن تعتبر به وتأخذ من بضاعته ماتحتاج اليه . فما من قصة فى القرآن إلا وسياقها لفائدة فى حق النبىّ صلى الله عليه وسلم وأمته . ولذلك قال تعالى (ما نُثَبّتُ بهِ فُؤَادكَ) فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه

عليه من أحوال الانبياء وصبرهم على الايذاء وثباتهم فى الدين لانتظار نصر الله تعالى . وكيف لايقدر هـذا والقرآن ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين. ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى (واذكُرُوا نِعمَةَ اللهِ عليكمْ وَما أنزلَ عليكم مِنَ الكِتابِ والحكمَةِ يعِظُكم بهِ) واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد كما قال تعالى (لِأُنْذِرَكم بهِ وَمَنْ بَلَغَ) قال محمد القرظى : من بلغه القرآن فكانما كلمه الله : واذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرأه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذى كتبه اليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه . ولذلك قال بعض العلماء : هذا القرآن رسائل أتتنا من قِبَلِ ربنا عزّ وجل نهوده نتدبرها فى الصلوات وننفذها فى الطاعات *

(الثامن التأثر) وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره . ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على آيات القرآن . فلا ترى ذكر المغفرة والرحمة إلا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله عزّ وجل (وَإِنّي لغفّارٌ) ثم اتبع ذلك بأربعة شروط (لِمنْ تابَ وآمَنَ وعمِلَ صالِحًا ثمّ اهتَدَى) وقوله تعالى (والعَصرِ إنّ الإنسانَ لَفى خُسْرٍ إلاّ الّذينَ آمنوا وعمِلوا الصّالحاتِ وَتَواصَوْا بالحقّ وتَواصَوْا بالصّبر) ذكر أربعة شروط . وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال تعالى (إنّ رَحمَةَ اللهِ قريبٌ مِنَ المحسنينَ)

فالاحسان يجمع الكل . وهكذا من يتصفح القرآن من أوّله الى آخره ومن فهم ذلك فجدير بأن يكون حاله الخشية والحزن . والا كان حظه من التلاوة حركة لسان مع صريح اللعن على نفسه فى قوله تعالى (ألاَ لَعْنَةُ اللهِ على الظَّالمينَ) وفى قوله تعالى (كَبُرَ مَقتاً عِندَ اللهِ أن تقولوا مالاَ تَفعَلونَ) وفى قوله (فأعرِضْ عَمَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنا ولم يُرِدْ إلاّ الحياةَ الدُّنيا) وفى قوله تعالى (وَمن لم يَتُبْ فأُولئكَ هُمُ الظَّالمونَ) إلى غير ذلك من الآيات . فالقرآن يراد للعمل به وأما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى . وتلاوة القرآن حق تلاوته ـ هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل ـ وحظ العقل تفسير المعانى ـ وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار . فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ *

كتاب الاذكار والدعوات

﴿ فضيلة الذكر ﴾

من الآيات قوله سبحانه تعالى (فاذكُرونى أذكُرْكُم) وقال تعالى (أُذكُروا اللهَ ذِكراً كَثيرًا) وقال تعالى (الَّذينَ يَذكُرونَ اللهَ قِياماً وقُعُوداً وعلى جُنوبِهِمْ) وقال تعالى (فإذا قَضيتُمُ الصَّلاةَ فاذكُروا اللهَ قياماً وقعُوداً وعلى جُنوبِكم) وقال ابن عباس أى بالليل والنهار فى البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى